تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 9- سورة التوبة | من الأية 32 إلى 42

عبدالرحمن العجلان

السلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء استحبوا الكفر على الايمان. ومن يتولهم منكم فاولئك - 00:00:00

الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموالا اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن هنا احب اليكم من الله ورسوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله - 00:00:28

فتربصوا حتى يأتي الله بامره. والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون - 00:00:54

قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين - 00:01:25

هذا امر من الله جل وعلا وتأكيد بعبادة المؤمنين بان لا يوالوا من كفر بالله وان كانوا اقرب قريب لا يوالوا من كفر بالله وان كانوا اقرب قريب لا يوالوهم - 00:01:54

المحبة والمودة وافشاء السر اليهم لانهم اعداء لله ولرسوله وللمؤمنين فهذا فيه تأكيد من الله جل وعلا لعباده المؤمنين بقطع الموالاة وقطع الصلة بين المؤمنين وبين اقربائهم من الكفار وان كانوا الاباء او الابناء او الاخوة - 00:02:26

ولا يتعتى الايمان من المرء بان يحب الله ورسوله والمؤمنين ويحب من عاداهم كما قال الله جل وعلا لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله - 00:03:18

ولو كانوا ابائهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وفي هذه الاية يخاطب الله جل وعلا عباده في هذا الخطاب بصفة الايمان - 00:03:44

تكريما وتشريفا لهم يقول عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا وارعها سمعك فانه اما خير تؤمر به او شر يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء - 00:04:09

لا تتخذوهم اولياء لا توالوهم لا تفشوا اليهم اسراركم واسرار المؤمنين لا تحبوهم لا تظمروا محبتهم وهم على الكفر وهل في هذا نهي عن صلة الاقرباء من الكفار هل فيه نهي عن ذلك - 00:04:45

نهي عن الصلة لم ينه جل وعلا عن الصلة وانما نهى عن الموالاة نهى عن المحبة نهى عن المودة نهى عن الاطمئنان اليهم واعطائهم الاسرار اما الصلة الاحسان اليهم اعطاءهم شيئا من المال - 00:05:14

تأليف قلوبهم فهذا لا يخلو اما ان يكون الكافر محارب معلن العداوة شاهر بالسلاح في وجوه المؤمنين فهذا لا يعطى ولا يصله قريبه وان كان غير ذلك كافر لكنه لم يشهر السلاح - 00:05:51

في وجوه المؤمنين فانه لا مانع من صلته واعطائه وتأليفه وذلك لان الله جل وعلا لما ذكر حق الوالدين قال سبحانه وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما - 00:06:31

لا تطعهما في هذا وصاحبهما في الدنيا معروفا اصحبهم بالمعروف ولو كانوا مشركين وجاءت اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله

عنهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله - 00:07:06
ان امي اتتني وهي راغبة افأصلها قال عليه الصلاة والسلام نعم صلي امك اسماء رضي الله عنها مهاجرة الى الله ورسوله في المدينة وجاءتها امها والام كافرة جاءت من مكة - 00:07:35
الى المدينة ابنتها اسماء وهي تريد منها اسماء رضي الله عنها لم يغلبها مودة الامومة والصلة التي بينها وبين امها اعطتها ما تريد لم تفعل ذلك رضي الله عنها وانما سألت النبي صلى الله عليه وسلم اولا - 00:08:03
هل تعطيها ام ان اعطائها يضر بايمانها فلا تعطي امها شيئا فاخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم بان تصل امها ولا حرج عليها ففهم منها من هذا من الحديث ومما تقدم بالاية الكريمة - 00:08:33
ان صلة القرابة بالمال والمواساة وارد حتى مع الكفر بشرط الا يكون الكافر هذا معلنا المحاربة فان كان معلن فلا يعطيه قريبه شيئا يستعين به على حرب المسلمين والاية الكريمة هذه لم تنه عن - 00:09:04
الصلة وانما نهت عن المودة والمحبة والموالاة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان - 00:09:40
لا تتخذوهم اولياء. متى في حالة استحبابهم وتفضيلهم للكفر على الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم يفعل الموالاة والمودة بعدما نهاه الله جل وعلا عن ذلك اولئك هم الظالمون ظلموا انفسهم - 00:10:06
وهم لا يظرون الله شيئا ولا يستطيع العبد ان يظلم ربه وانما ظلم نفسه وذرأ نفسه بفعله السيء يضر نفسه ومن يتولهم منكم يضمر مودتهم ومحبتهم او يفشي اليهم اسرار المؤمنين - 00:10:49
او يتخذهم اولياء وانصار واعوان اولئك هم الظالمون المتصفون بصفة الظلم وحينما امر الله جل وعلا للهجرة الخروج من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام يا آلاء كلمة الله واظهار دينه - 00:11:27
ومناصرة اوليائه بعض المؤمنين شقت عليهم الهجرة وصعبت عليهم وبعضهم صاح به اولاده واهله وعشيرته كيف تخرج وتتركنا لذلك او خافوا على اموالهم او طمعا ورغبة في مساكنهم التي بنوها - 00:12:08
وارتاحوا بها فتأخر بعضهم عن الهجرة فانزل الله جل وعلا قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله - 00:12:57
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين قل يا محمد لهؤلاء المؤمنين الذين لم يسارعوا الهجرة واطمئنوا الى ما بين ايديهم ورغبوا فيها اما انهم شق عليهم مفارقة الوالدين - 00:13:43
او شق عليهم مفارقة الاولاد او شق عليهم مفارقة الاخوان او شق عليهم مفارقة الازواج وكلمة الازواج والزوج يطلق على الذكر والانثى يقال فاطمة زوج علي رضي الله عنه رضي الله عنهما - 00:14:22
ويقال علي زوج فاطمة فكلمة الزوج تطلق على الذكر والانثى من الزوجين وازواجكم وعشيرتكم العشيرة الاقربة من القرابة الادناون من القرابة واموال اعترفتموها اموال اقترفتموها اكتسبتموها بعملكم وسعيكم اكتسبتم هذه الاموال - 00:15:01
فتركتم الهجرة خوفا عليها ان المرأة قد لا يستطيع ان يهاجر بماله ويشق عليه ان يهاجر ويترك يشق على البعض والكثير من الصحابة رضوان الله عليهم خرجوا مهاجرين لله ورسوله - 00:15:54
ولم يبالوا في جميع الموانع التي تمنع من الهجرة بل تركوها ولم يلتفتوا لها واشتروا انفسهم رظي الله عنهم ورغبوا في الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وتركوا كل هذه الاشياء - 00:16:27
التي قد تمنع المرء من الهجرة ومن ذلك صهيب رضي الله عنه الذي عرف لصهيب الرومي وليس برومي الاصل وانما هو عربي وحينما اراد الهجرة رضي الله عنه وعزم على ذلك وخرج - 00:17:02
وقف له عدد من كفار قريش في الطريق فقالوا يا صهيب اتيتنا وانت فقير فوالله لا ندعك تخرج بمالك الذي اكتسبته من عندنا فقال ان تركت لكم المال كله اتتركونني اهاجر؟ قالوا نعم - 00:17:41

وقال رضي الله عنه لكم وتجدونه في المكان الفلاني من البيت وصفه لهم فعادوا واخذوا المال وخرج رضي الله عنه مهاجرا الى الله ورسوله متوجها الى المدينة رضي الله عنه - 00:18:12

فانزل الله جل وعلا فيه قرآنا يتلى على محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يصل رضي الله عنه الى المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتلقاه الصحابة رضوان الله عليهم - 00:18:37

لما وصل المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم يناديه ربح البيع فقال وما ذاك فتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله جل وعلا فيه من القرآن - 00:18:56

يرى نفسه رضي الله عنه بماله اعطاهم المال كله وخرج راغبا في الهجرة الى الله ورسوله والى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم لكن بعض الناس هذه الامور كلها - 00:19:15

او بعضها قد تمنعه من المبادرة والمسارعة الى الهجرة فانزل الله جل وعلا حثا وترى غيبا للمؤمنين بان لا يلتفتوا الى هذه الموانع التي تمنع المرء من الهجرة قل ان كان اباؤكم - 00:19:43

وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها التجارة هو الا تساوي القيمة التي اشتريت بها الا يكون لها رواج في السوق الا يرغب بها وقد يثبت المرء عن عن الهجرة - 00:20:14

تجارة عنده يكون عنده تجارة ويخشى ان هاجر الا يكون لها قيمة او الا تساوي شيئا فيرغب عن الهجرة محافظة على تجارته عن الكساد وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ترضونها تحبونها - 00:20:50

وتستطيبونها تطيبونها وتطمئنون اليها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله. ما محل احب من الاعراب خبر كان واين اسمها ابائكم وما عطف عليه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى اخرها - 00:21:20

الى ان قال احب اليكم من الله ورسوله فاحب خبر احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا. تربصوا بمعنى انتظروا حتى يأتي الله بامره في هذا وعيد ان كان الامر كذا - 00:21:55

فانتظروا حتى يأتي امر الله ما هو العذاب حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وفي هذا اشارة الى ان من اطمئن الى هذه الاشياء المثبطة عن الهجرة - 00:22:24

ولم يهاجر فهو متصف بصفة الفسق والخروج عن طاعة الله جل وعلا فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين والفسق والخروج عن الطاعة - 00:22:47

والهداية والله لا يهدي القوم الفاسقين. الهداية نوعان هداية دلالة وهداية توفيق والهام بداية الدلالة والارشاد هذه لله جل وعلا ولرسله ولمن سلك سبيلهم سبيل الرسل وهداية التوفيق والالهام هذه لمن - 00:23:12

لله جل وعلا وحده وكلاهما وردتا في القرآن يقول الله جل وعلا وانك لتهدي الى صراط مستقيم تهدي بمعنى توفق وتلهم وانما تدل وترشد وانك لتهدي الى صراط مستقيم والهداية بمعنى التوفيق جاء قوله تعالى - 00:23:43

انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء لا تهدي والمراد بالهداية هنا التوفيق والالهام هذه لا يملكها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره من الخلق وانما هذه لمن - 00:24:14

لله وحده لا شريك له والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الذين خرجوا عن طاعة الله جل وعلا لا يهديهم ولا يوفقهم لانه جل وعلا اعطى العبادة ما يسترشدون به - 00:24:34

الله جل وعلا وفق من شاء وسلك الصراط المستقيم وحرم من شاء بعد ان قامت الحجة عليهم فلم يهتدوا فمن سلك سبيل الهداية فبتوفيق الله جل وعلا والهامه ومن حاد عن طريق الهداية وظل - 00:25:05

فقد ظل باختياره قل باختياره والله جل وعلا يعلم ازلا بانه لا يؤمن والله جل وعلا لم يظلمه بل اقام عليه الحجة فقد ارسل الرسل وانزل الكتب وبين طريق الهداية وطريق الغواية جل وعلا - 00:25:35

توفق من شاء فضلا منه واحسان وحرم من شاء عدلا منه جل وعلا والهداية والتوفيق بيد الله جل وعلا من شاء ويحرمها من شاء

وانما على العبد ان يسأل الله جل وعلا الهداية - 00:26:02
ويلح على ربه جل وعلا لطلب التوفيق والسداد والله جل وعلا جواد كريم اذا سأله عبده بصدق واخلاص اعطاه جل وعلا ومن اعرض عن طاعة الله فلا يلومن الا نفسه - 00:26:33
وهو لا يضر الله شيئا وانما يضر نفسه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون - 00:26:57
قل لي ان كان اباؤكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله. فتربصوا سيأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين - 00:27:36
قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى امر تعالى بهم بمباينة الكفار امر تعالى بكم بمباينة الكفار به وان كانوا اباء او ابناء ولها عن مواالتهم ان استحبوا اي اختاروا الكفر على الايمان وتوعد على ذلك كقوله تعالى - 00:28:08
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ابائهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم. اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه. ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار. الاية - 00:28:37
وروى الحافظ البيهقي من حديث عبدالله بن شوذب قال جعل ابو قال جعل ابو ابي عبيدة ابن الجراح ينعت له الالهة يوم بدر. وجعل ابو عبيدة يحيد عنه. فلما اكثر الجراح قصراح الجراح - 00:29:06
فلما اكثر الجراح قصد قصده ابنه ابو عبيدة فقتله. فانزل الله فيه هذه الاية. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر من حاد الله ورسوله. الاية ثم امر ابو عبيدة رضي الله عنه - 00:29:27
قابله ابوه ابو عبيدة عامر ابن الجراح رضي الله عنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في موقعة بدر الكبرى وكان والده مع كفار قريش وكان الاب يحاول ان يقتل ابنه - 00:29:51
انتصارا لالهته انتصارا للالهة والابن يحاول الا يوجه السيف الى ابيه لعل الله ان يهديه لعله ان يسلم فلما رأى ان الاب ان اباه مصر على قتله وعلى اذية المسلمين - 00:30:15
تقدم ابو عبيدة رضي الله عنه الى ابيه فقتله انتصارا لله ولرسوله وللمؤمنين فانزل الله جل وعلا هذه الاية الكريمة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله - 00:30:40
الاية ثم امرك ثناء على ابي عبيدة رضي الله عنه حيث لم تأخذ به ولم تؤثر عليه مودة وحنان الابوة في ان يؤثر ايمانه وجهاده في سبيل الله اثر الايمان بالله واليوم الاخر. وتقدم لقتل ابيه لان اباه كان كافرا بالله واليوم الاخر - 00:31:08
ثم امر تعالى رسوله ان يتوعد من اثر اهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله. وجهاد في سبيل فقال قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقترحتموها اي اكتسبتموها وحصلتموها وحصلتموها وتجارة تخشون كساد - 00:31:39
ومساكن ترضونها. اي تحبونها لطيبها وحسنها. اي ان كانت هذه الاشياء احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا اي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكأه ونكاله بكم ولهذا قال حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين - 00:32:09
وقال الامام احمد حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة ابن عن زهرة بن معتمد عن زهرة بن معبد عن جده قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال والله يا رسول الله لانت - 00:32:39
احب الي من كل شيء الا من نفسي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه. فقال عمر فانت الان والله احب الي من نفسي. فقال رسول الله صلى الله عليه - 00:33:04
وسلم الان يا عمر انفرد باخراجه البخاري فرواه عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابي عقيل زهرة بن معبد انه سمع جده عبد الله عبد الله ابن عبد الله عبد الله ابن هشام عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقد ثبت - 00:33:24
في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من وولده والناس اجمعين وروى الامام احمد عليه الصلاة والسلام يقسم بالله - 00:33:48

الذي نفسه بيده جل وعلا يقول والذي نفسي بيده. من هو الذي نفسي بيده هو الله جل وعلا. نعم. وروى الامام احمد وابو داوود واللفظ له من حديث ابي عبد الرحمن الخرساني - 00:34:06

الخراساني عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم باذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا - 00:34:22

تنزعه حتى ترجعوا الى دينكم. وروى الامام احمد ايضا عن يزيد بايعتم بالعينة العينة التبايع بالعينة نوع من انواع البيوع المحرمة التي هي وسيلة الى الربا او نوع من انواع الربا - 00:34:42

وصفتها بان يشتري الرجل شيئا بدون ما باعه به نسيئة يعني يشتري شيئا بدون ما باعه به نسيئه ايضاح ذلك يكون عند الرجل سلعة فيبيعها على اخر بمائة وعشرين الى سنة مثلا - 00:35:08

ثم يشتريها صاحبها ممن باعها عليه بمئة نقدا عادت الى الاول سلعته والثاني اخذ مئة نقدا وماذا صار بذمته مئة وعشرون وكأنه اشترى مئة بمئة وعشرين وهي محرمة لانها وسيلة - 00:36:02

الى الربا وحيلة على بيع مئة نقدا بمائة وعشرين نسيئة الرجل عنده سلعة التاجر عنده سلعة على الفقير بمائة وعشرين الى سنة مثلا ثم استعاذها التاجر من الفقير بمائة نقدا - 00:36:40

الفقير ما لا اعتاب اخذ مئة وفي ذمته مئة وعشرون والغني التاجر عادت اليه سلعته اعطى مئة وطالب بعد سنة بمئة وعشرين وهذه مسألة العينة. اذا تبايعتم بالعينة واخذتم باذناب البقر - 00:37:13

كناية عن الركون الى الزراعة والاقبال على تنميتها وتركتم الجهاد في سبيل الله لان من ركن الى الدنيا ومال اليها ورغب فيها كره ان يتقدم للجهاد في سبيل الله لان الدنيا عنده غالية - 00:37:47

سلط الله عليكم ذلا اذا حصل هذا من المسلمين سلط الله عليهم ذل لا ينزعه عنهم حتى يرجعوا ويراجعوا دينهم وهو ما حصل اليوم للمسلمين عن الجهاد في سبيل الله - 00:38:15

واثروا الحياة الدنيا وتبايعوا بالبيوع المحرمة وحرصوا على تنمية الاموال من حلال او حرام فسلط الله عليهم الذل والزل يكون مع كثرة الاموال ذل وظعف امام الاعداء يخافون من هؤلاء ومن هؤلاء - 00:38:38

لانهم لان ايمانهم ضعيف ولو كان ايمانهم قوي فخافهم الاعداء ولما خافوا هم من الاعداء لانه كلما قوي ايمان العبد صلته بالله جل وعلا ومن خاف الله وخشي الله حقيقة لا يخاف غيره - 00:39:08

لا يهتم بغيره لكن قل خوفهم من الله وخافوا الناس تسلط الله عليهم الذلا جعلهم يخافون من كل شيء يخافون من الاعداء ويستعظمونهم ويخشونهم في جميع امورهم ولا ينزع الله جل وعلا هذا عن المسلمين - 00:39:41

حتى يرجعوا الى دينهم ايحل ما احل الله ويحرم ما حرم الله ويجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله وروى الامام احمد ايضا عن يزيد ابن هارون عن ابي حباب عن شهر ابن حوشب انه سمع عبدالله بن عمرو - 00:40:19

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك. وهذا شاهد للذي قبله والله اعلم - 00:40:47